فهي في حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب سبعة وفي حال المصيبة تراها طفلاً وفي حال النعمة
تراها فرعوناً وفي حال الجوع تراها مجنوناً وفي حال الشبع تراها مختالاً ان اشبعتها بطرت ومرحت
وان جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال القائل حيث قال كحمار السوء ان اقضمته رمح الناس
والا جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال الله من رداءة هذه النفس وجهلها
بحيث اذا همت بمعصية او انبعثت بشهوة فتنتها او تشفعت اليها بالله ثم برسوله
وبجميع انبيائه وبكتابه وبجميع سلف الصالح من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيمة والجنة
والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة ثم استقبلتها بمنع الرغيف فانها تسكن وتترك شهوتها
لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله ان
النفس لامارة بالسوء فكفى بهذا تنبيهاً لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد
بن ادهم البلخي رحمه الله انه قال نادتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول
ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابداً ولكنها استوحشت فتريد لقاء
الناس لتستريح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام فقلت
لها لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت واساءت الظن بها وقلت ان الله تعالى اصدق فقلت
لها اقاتل العدو حاسراً فتكونين اول قتيل فاجابت وعددت اشياء مما ارادها فاجابت الى كل ذلك قال
فقلت يا رب تبصرني لها فاني متهم لها مصدق لك فكوشفت كانها تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم
بمنعك اياي من شهواتي مرات وبخالفتك ولا يشعر به احد فان قتلت قتلت مرة واحدة فنجوت منك
ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد ويكون لي شرف وذكر قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو
في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها ترائي الناس بعد الموت بعمل لم يعمل بعد ولقد صدق
القائل واحسن فيما قال: توقّ نفسك لا تأمن غوائلها - فالنفس اخبث من سبعين شيطانا
فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها بكل حال تحسن وتسلم ان شاء الله
تعالى ثم عليك بالجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم ان ههنا اصلاً اصيلاً وهو ان العبادة شطران

شطر الاكتساب

وشطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى
وان شطر الاجتناب على كل حال اسلم واصلح وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل
المبتدئون من اهل العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب وكل همتهم ان يصوموا نهارهم
ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون اولوا البصائر من اهل العبادة بشطر الاجتناب انما
همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم
عن النظر الى ما يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الثاني من العباد ليونس يا يونس ان من الناس من حبب
اليهم الصلوة فلا يؤثرون عليها شيئا وهي عمود العبادة بالثبات لله والصدق والتفرغ والابتهال
ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون عليها شيئاً ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يؤثرون
عليها شيئاً يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك
كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل منه ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب
اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك الشطران جميعا وهو الاكتساب والاجتناب فقد استكملت امرك
وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم تبلغ الى احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم
ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعاً وما ينفعك قيام ليل ثم تحبط بارادة واحدة وما ينفعك
صيام نهار طويل ثم تفسد بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنه قيل له ما تقول في رجلين
احدهما كثير الخير وكثير الشر والاخر قليل الخير قليل الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئاً ومثال ما قلنا
حال المريض وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصفه هو الاحتماء
فان اجتمعا وكانك بالمريض قد برئ وصح والا فالاحتماء به اولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء
ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى بها والله اعلم انها
تغني عن كل دواء وكذا يقال ان الهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام
عدة ايام فيبرأ ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر وهو جوهره وان
اهلها هم الطبقة العليا من العباد فعليك ببذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية

Copyright © King Saud University